المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ملامح المجتمع الفزاني من خلال رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م
جلاء الكرب عن طرابلس الغرب

*محمد عمر بشينة[1]
[1] قسم التاريخ، كلية الآداب زليتن، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، ليبيا

الملخص البحث

يهدف البحث إلى تحليل ملامح المجتمع الفزاني، ودراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية كما وردت في كتاب "رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب"؛ لفهم العادات والتقاليد السائدة في تلك الفترة. كما يسعى البحث إلى فهم العلاقات الاقتصادية من خلال استكشاف الأنشطة الاقتصادية؛ مثل التجارة والأسواق، والزراعة التي كانت تمارس في إقليم فزان، وتأثيرها على الحياة اليومية للسكان.

ويمتاز بالتنوع الجغرافي حيث وصف الحشائشي إقليم فزان، حيث تطرق إلى المناطق والواحات والجبال والمقاطعات. يبدأ الإقليم من سرت في الجهة الشرقية، وينتهي إلى القطرون في الجهة الغربية، مع توضيح تأثير هذا التنوع على حياة السكان، ويوجد في إقليم فزان الأنشطة الاقتصادية الرئيسية؛ مثل الزراعة، وتجارة القوافل والأسواق، مع تسليط الضوء على دور مدينة مرزق كمركز تجاري، كما تم تسليط الضوء على طباع أهل فزان الناتجة عن تربيتهم الدينية على يد الطريقة السنوسية، مع وصف الممارسات الدينية وأثرها في الحياة اليومية، واعتمد البحث على المنهج التاريخي السردي والوصفي والتحليلي قدر المستطاع، مع إتباع طريقة (APA).

الكلمات المفتاحية: فزان، الحشائشي، الاجتماعية، الاقتصادية، مرزق، القاطرون.

Features of Fezzan society through Al-Hashashi's journey to Libya in 1895 AD: The removal of distress from Tripoli, Libya

*Muhammad Omar Bashinah[1]
[1]Department of History, Faculty of Arts, Zliten, Alasmarya Islamic University, Libya

Abstract:

The research aims to analyze the features of the Fezzan community and study the social and economic aspects as described in the book "The Journey of Al-Hashaishi to Libya in 1895: Relief from Suffering in Tripoli." This is done to understand the customs and traditions prevalent during that period. The research also seeks to understand economic relationships by exploring economic activities such as trade, markets, and agriculture that were practiced in the Fezzan region and their impact on the daily lives of the inhabitants.

The region is characterized by its geographical diversity, as Al-Hashaishi described the Fezzan region, touching on areas, oases, mountains, and provinces. The region extends from Sirte in the east to Qatroun in the west, highlighting how this diversity affects the lives of the residents. The Fezzan region features key economic activities, such as agriculture, caravan trade, and markets, with a focus on the role of the city of Murzuq as a commercial center. The research also highlights the characteristics of the people of Fezzan shaped by their religious upbringing through the Senussi order, along with a description of religious practices and their influence on daily life. The research relies on a historical narrative, descriptive, and analytical methodology as much as possible, following the APA style. Keywords: Fazzan, Al-Hashashi, social, economic, Murzuk, Qatrun.

* مؤلف البحث: عناوين البريد الإلكتروني Salahsalhhssin63@gmail.com - المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل25-26 نوفمبر 2024- جامعة فزان

المقدمة

يُعدّ إقليم فزان في ليبيا واحدًا من المناطق الغنية بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، حيث تجسد تفاعلات الإنسان مع بيئته وظروفه الاجتماعية والسياسية. تستند هذه الدراسة إلى رحلة الحشائشي، الذي يُعتبر من أبرز الرحالة العرب في التاريخ الحديث، حيث وثق مشاهداته وتأملاته حول المجتمع الفزاني.

تسلط الدراسة الضوء على الهوية الثقافية للحياة الاجتماعية، موضحةً كيف تعكس مشاهدات الحشائشي هوية المجتمع الفزاني ومكانته ضمن السياق العربي والإفريقي. كما تركز على ملامح الحياة اليومية، خاصةً الجوانب الاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك الفترة. من خلال تحليل نصوص الحشائشي، يسعى الباحث إلى فهم كيفية تشكل الهوية الاجتماعية والاقتصادية في فزان، وتأثير البيئة الجغرافية على أنماط الحياة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في دراسة المجتمع الفزاني من منظور تاريخي وثقافي، خاصةً من خلال رحلة الحشائشي المعنونة بـ "رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب"، والحشائشي هو محمد بن عثمان الحشائشي، كان عالمًا تونسيًا في الفقه والأدب خلال القرن التاسع عشر، وُلد في تونس، واهتم بالثقافة الإسلامية واللغة العربية، وترك بصمة في المجالات الدينية والفكرية، ورغم أهمية هذه الرحلة في توثيق الحياة اليومية والعادات والتقاليد، إلا أن العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لم تُدرس بشكل كافٍ.

يطرح الباحث عدة تساؤلات رئيسية:

– ما هي الملامح الرئيسية للمجتمع الفزاني كما وثقها الحشائشي؟

– كيف تعكس مشاهداته الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع؟

– ما هي التأثيرات البيئية والجغرافية على أنماط الحياة في فزان خلال تلك الفترة؟

إن معالجة هذه المشكلة ستساهم في إلقاء الضوء على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لإقليم فزان.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

– تحليل الملامح الاجتماعية وهي دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الفزاني كما وردت في رحلة الحشائشي؛ لفهم العادات والتقاليد السائدة في تلك الفترة.

– فهم العلاقات الاقتصادية وهي استكشاف الأنشطة الاقتصادية من تجارة وزراعة التي كانت تُمارس في إقليم فزان، وتأثيرها على الحياة اليومية للسكان.

– تقييم التأثيرات البيئية وهي دراسة كيفية مساهمة البيئة الجغرافية في تشكيل أنماط الحياة والتفاعلات الاجتماعية في المنطقة، وكيف أثرت على المحاصيل الزراعية.

– تسليط الضوء على الهوية الثقافية وهي توضيح انعكاس مشاهدات الحشائشي على هوية المجتمع الفزاني ومكانته ضمن السياق العربي والإفريقي.

– تقديم مساهمة أكاديمية وهي الإسهام في المؤتمر العلمي الذي تنظمه جامعة فزان، وإثراء المكتبة الليبية والعربية بمعلومات جديدة ودقيقة عن فزان، وتعزيز الفهم التاريخي.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

– إثراء المعرفة التاريخية للمشاركة في تقديم معلومات دقيقة حول تاريخ إقليم فزان؛ مما يساعد في فهم تطور المجتمع المحلي عبر العصور.

– تسليط الضوء على الثقافات المحلية؛ وبهذا يعزز البحث من فهم القيم والعادات الاجتماعية التي تميز المجتمع الفزاني، مما يساهم في الحفاظ على التراث الثقافي.

– توفير بحث علمي أكاديمي يقدم دراسة مرجعية مهمة للباحثين والمهتمين بالتاريخ الليبي والإفريقي، مما يفتح آفاقًا جديدة للدراسات المستقبلية.

– فهم السياقات الاجتماعية التي تساعد في تحليل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، مما يعكس كيفية تفاعل الأفراد مع بيئتهم.

منهجية البحث

إن موضوع المجتمع الفزاني من خلال "رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" يتطلب استخدام المنهج التاريخي السردي والوصفي والتحليلي قدر المستطاع، مع إتباع طريقة (APA).

ستتناول هذه الدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، لتقديم صورة شاملة عن المجتمع الفزاني من خلال رحلة الحشائشي، مما يسهم في تعزيز المعرفة بتاريخ هذا الإقليم، وأهميته في السياق الليبي والإفريقي.

وقد قسم الباحث هذا البحث إلى مقدمة وأربعة محاور؛ فجاء المحور الأول بجغرافية وتسمية فزان، وتناول المحور الثاني الفتح الإسلامي لإقليم فزان من خلال رحلة الحشائشي، وتطرق المحور الثالث إلى الحياة الاجتماعية بمنقطة فزان من خلال رحلة الحشائشي، والمحور الرابع استعرض الحياة الاقتصادية بمنقطة فزان من خلال رحلة الحشائشي، ثم الخاتمة التي بين فيها الباحث أهم نتائج البحث، ثم أضاف الباحث قائمة المصادر والمراجع التي استقت منها المادة العلمية للبحث

المحور الأول : عن جغرافية فزان والتسمية

أ– الموقع الجغرافي:

تبدأ حدود إقليم فزان حدود سرت من الجهة الشرقية وينتهي إلى القطرون(1) من أعمال مرزق من الجهة الغربية المائلة للجنوب (الحشائشي،74،1995) ، ويذكر الحموي: " ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ، وهو في الإقليم الأول" (الحموي، (د.ت)،ج 4، 295) وهي عدة واحات واقعة جنوبي مدينة طرابلس بنحو 970 ك م وأصلها من مواطن البربر القديمة، ولها ذكر في التاريخ القديم ، وأرضها خصبة ، ومياهها الجوفية كثيرة (الزاوي، 1968، 248).

وتطلق كلمة فزان على المنطقة التي تقع جنوب غرب الأراضي الليبية، تحدها من الجنوب جمهوريتي تشاد والنيجر، ومن الغرب الجزائر كما تمتد شمالاً حتى السهل المنبسط الذي يطلق عليه اسم (الحمادة الحمراء)، وشرقاً الصحراء الليبية كما في الشكل (1) (ابن عرفة، 2010، 17).

(1) القاطرون : هي الآن القطرون: بلدية من بلديات فزان .

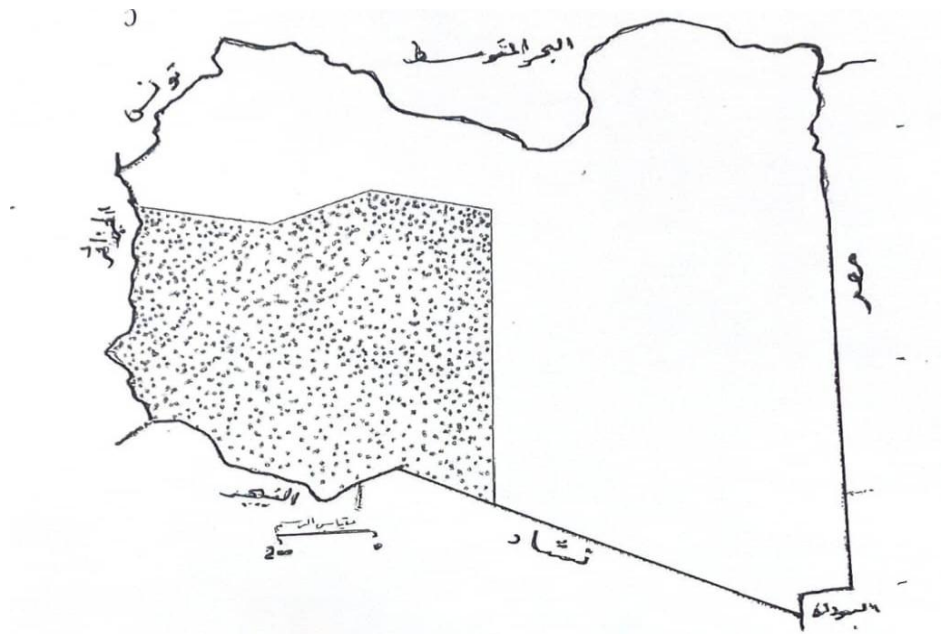

الشكل (1) خريطة إقليم فزان نقلاً عن: السوري، الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 37.

ليست فزان إلا منطقة تتناثر فيها مجموعة من الواحات تعد امتداد لواحات الشطر الأوسط من الصحراء الكبرى ، تنحصر بين مركزين عمرانيين أكثر جاذبية هما: طرابلس في الشمال، وتشاد في الجنوب (الدّيناصوري، 1967،31)، ومرزق عاصمة فزان، وتقع على خط عرض 54. 25 شمالاً(ليون، 1976،208)، ويقع إقليم فزان بين دائرتي عرض 24 درجة إلى 29 درجة شمالاً، ويمتد فيما بين دائرتي طول 12 درجة إلى 18 درجة شرقا (السوري، 2006، 35).

ب- سبب التسمية:

قد اختلفت الآراء في مدلول اسم فزان؛ ففي حين أطلقه الرومان على وطن الجرامنت الذين كانت عاصمتهم مدينة جرمة، فإن البعض يرى أن كلمة فزان تحريف لكلمة (تافسنا) ذات الأصل البربري، وتعني (الحافة) لكثرة الحواف التي تميز مظاهر السطح في فزان، فإذا ما حذفنا حرف (ت) وهو أداة التأنيث بالبربرية تبقى الأحرف (ف ، ز ، ن) وهي الأحرف التي تتكون منها كلمة فزان، وتعني أرض الحواف بها سواء أكانت حواف رملية أو حواف مرتفعات (ابن عرفة، 2010 ، 17).

وأما صاحب كتاب معجم البلدان فذكر:" قيل سميت بفزان بن حام بن نوح ، عليه السلام " وقد ذكرهم جرير في شعر له فقال:

قَفْراً تُشابهُ آجال النّعام به عيداً تَلاقَتْ به فَزّانُ والنُّوبُ (الحموي، (د.ت)،ج4 ،295).

ويقول الزاوي: أن كلمة فزان مستحدثة بعد الفتح الإسلامي، وشاعت على ألسنة الكاتبين في تاريخها.. ورأيت في بعض الكتب أن جماعة من بني أمية تسمى فزان سكنوا إفريقيا، ولا يبعد أن تكون هذه الجماعة سكنت هذه المنطقة وسميت باسمها(الزاوي 1968، 251)، ويضيف بازامة عند حديثه عن بربر فزان: وجنس يعرف بفزان أخلاط من الناس، وأغلب الظن أنه يضعهم بوادي الشاطي ووادي الآجال حيث هم الآن (بازامة، (د.ت)، 53-56)، ويرجح الباحث أن مدلول اسم فزان الذي يقول: أنها ذات الأصل البربري، وتعني (الحافة) لكثرة الحواف التي تميز مظاهر السطح في فزان،

فإذا ما حذفنا حرف (ت) وهو أداة التأنيث بالبربرية تبقى الأحرف (ف ، ز ، ن) وهي الأحرف التي تتكون منها كلمة فزان، وتعني أرض الحواف بها سواء أكانت حواف رملية أو حواف مرتفعات وهذا ينطبق على أراضي فزان .

ويذكر الحشائشي بلدان إقليم فزان:" ومن بلدانهم المشهورة مرزق ثم القاطرون ثم سوكنة ثم هون ثم ودان ثم الزيغن ثم سمنو ثم القرضة ثم سبها ثم ديلم ثم الشاطئ إلى غير ذلك "(الحشائشي، 7،91995).

المحور الثاني : الفتح الإسلامي لإقليم فزان من خلال رحلة الحشائشي

تم الفتح العربي الإسلامي لإقليم فزان المرة الأولى في سنة : (49هـ/ 669م) بقيادة عقبة بن نافع (الزاوي 1968، 248) ، جهة سرت(2)(لامة، 2005، 4)، لما كان قاصد فتح إفريقية (3)(الحميري، 1975، 47) (الحشائشي، 1995 ، 74)، وقد لاحظ الباحث عدة قضايا في عملية الفتح الإسلامي لإقليم فزان في هذا النص الذي يتناول ويقدم معلومات تاريخية مهمة. يُشير النص إلى الفتح كحدث تاريخي بارز، مما يدل على توسع الدولة الإسلامية في شمال إفريقيا؛ لأن إقليم فزان هو من الأقاليم المهمة في شمال أفريقيا وأما سنة : (49هـ/ 669م) يوفر النص تاريخًا محددًا، مما يساعد في تحديد السياق الزمني لهذا الفتح وأهميته في تاريخ الفتوحات الإسلامية ، وأما القضية الأخرى التي لابد من التعرج لها هي قيادة عقبة بن نافع؛ حيث يُبرز دور القائد عقبة بن نافع، الذي يُعتبر شخصية محورية في الفتوحات الإسلامية. هذا يعكس الشجاعة والتخطيط العسكري الذي كان يتسم به هذا الإقليم ، وأما عن قضية المسار الجغرافي فقد حددها الحشائشي جهة سرت تُشير إلى الاتجاه الذي تم فيه الفتح الإسلامي ، مما يعكس الأهمية الاستراتيجية لسرت كمنطقة انطلاق نحو مناطق أخرى، وقد لاحظ الباحث أيضا أن الهدف الأكبر هو فتح إقليم فزان وإفريقيا، ويُوضح أن الفتح في فزان كان جزءًا من استراتيجية أكبر لفتح مناطق إفريقية، مما يدل على الطموح والتوسع الذي كان يسعى إليه المسلمون.

وخلاصة قول الباحث أن النص يعكس حدثًا تاريخيًا مهمًا، ويُبرز دور عقبة بن نافع في الفتوحات الإسلامية، مع التركيز على الأبعاد الزمنية والجغرافية والسياسية لهذا الفتح.

---

(2) **سرت:** هي إحدى المدن العربية القديمة في المنطقة المغاربية وعرفت تاريخياً على يد الكنعانيين عندما استخدموها محطة تجارية أو مرفأ.

(3) **أفريقية:** عمل كبير في غرب ديار مصر، سميت بافريقيس بن برهة ملك اليمن؛ لأنه غزاها وافتتحها، قيل كان بالشين المعجمة تم عرّب بالسين؛ وقال قوم: معنى أفريقية صاحبة السماء، وقيل سميت بأفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجة قطورا، وقيل أهل أفريقية من ولد فارق بن مصر. وطول أفريقية من برقة مشرقًا إلى طنجة غربًا، وعرضها من البحر إلى الشرق، وفيها يصاد الفنك الجيد؛ ... غزا أفريقية عبد الله بن أبي سرح، سنة سبع وعشرين ومعه عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ومروان بن الحكم رضي الله عنهم، وعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه، فسميت غزوة العباد أو العبادلة، وبرز جرجير ملك أفريقية لابن الزبير، فقتله ابن الزبير رضي الله عنهما، وحوى المسلمون غنائم كبيرة وبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وغلبوا على كل مدينة فيها وفتحوها عنوة، وكان سلطان جرجير من طرابلس إلى طنجة، وكان جرجير لما عزم على لقاء المسلمين أخرج ديدبانه وهو منظر من خشب، وأمر ابنته فصعدت الديدبان وسفرت عن وجهها، وكان معها أربعون خادمًا في الحلي والحلل وقدّم كراديسه وهو تحت الديدبان.

فتح عقبة كاوار :

سار لهم حتى وصل قاعدتها، وبها تنزل العمال، وهاته البلاد لا مياه سابحة بها وإنما مياهها من الآبار، وفيها النخيل الكثير وجناتها ومزارعها كلها تسقى بالنصح مثل فزان؛ ففتح عقبة جميع قصورها حتى أتى على أقصاها وفيه ملكها فأخذه (الحشائشي، 1995، 74). النص يتناول تفاصيل الفتح العربي الإسلامي لإقليم فزان، ويصف الحالة الجغرافية والاقتصادية للمنطقة كاوار(4) (الباحث)، والهدف من ذلك وهو السير نحو الهدف المراد فتحه؛ فسار لهم حتى وصل قاعدتها، وتكون لذى الباحث دليلا يدل على الحركة العسكرية الجادة نحو مركز الإقليم، مما يعكس استراتيجية الفتح الإسلامي، وأما الوضع الجغرافي الاقتصادي لتلك الفتوحات الذي يعتمد على قضية المياه؛ فتحدث الحشائشي عن هذه المنطقة قائلا: "لا مياه سابحة بها، وإنما مياهها من الآبار" يشير إلى الطبيعة الجغرافية القاسية للمنطقة، حيث تعتمد الحياة على الآبار، مما يعكس تحديات التواجد في هذه البيئة، ويتضح للباحث أيضاً أن الموارد الطبيعية هي أحد المقومات الفتح الإسلامي قائلا: "وفيها النخيل الكثير ومزارعها"، يُبرز غنى المنطقة بالموارد الزراعية، مما يدل على أهميتها الاقتصادية والزراعة هي أحد أسس الحياة الاقتصادية التي تتكون من ثلاث فروع هي الزراعة في المرتبة الأولى، ثم الصناعة التي يعتمد معظمها على الزراعة، وأما المرتبة الثالثة في الحياة الاقتصادية التي يعتمد عليها في الفتح الإسلامي هي التجارة، ويعود فيقول في نظام الري: "تسقى بالنصح" يُشير إلى طرق الري المستخدمة، مما يعكس المعرفة الزراعية والتنظيم في إدارة المياه ، وقد لاحظ الباحث بعد انتهاء الحشائشي من سرد قضية الحياة الاقتصادية رجع بقوله للفتح والتوسع وهو صلب حديثه "فتح عقبة جميع قصورها" يدل على نجاح القائد عقبة بن نافع في السيطرة على منطقة كاورا وإقليم فزان بالكامل، مما يُظهر القوة العسكرية والتنظيم، وأضاف أيضا قضية الحكم فيها؛ فقد ذكر "وفيه ملكها فأخذه" مشيرا إلى الاستيلاء على السلطة المحلية، مما يعكس نتائج الفتح وتأثيره على النظام السياسي في المنطقة. وخلاصة قول الباحث بأن النص يقدم صورة متكاملة عن الفتح الإسلامي لإقليم فزان، مع التركيز على الجغرافيا، والموارد الاقتصادية، والنجاح العسكري، مما يعكس أهمية هذا الحدث في تاريخ الفتوحات الإسلامية.

والمحور الثالث سيفصل الحياة الاجتماعية بمنقطة فزان، من خلال رحلة الحشائشي.

يقول الحشائشي عن طباع أهل فزان : " وطباع أهلها التأني والرزانة وغالبيتهم على طريقة الشيخ السنوسي إلا القليل ، ولا توجد بلدة من بلدانهم المشهورة لم تكن بها زاوية من زوايا السنوسيين "(الحشائشي، 1995، 78)، يتضح للباحث أن أهل إقليم فزان كان لهم خصائص يمتازون بها عن أي منطقة أخرى ، وتشير رواية الحشائشي إلى تأثير الطريقة السنوسية في حياتهم، وهذا دليل على أن الزاوية السنوسية تنمي الحياة الاجتماعية، وخاصة في تربية النشيء ، وأيضاً يمتازون بسمات شخصية أهمها: التأني والرزانة وهذا يعكس هذه الصفات سلوك أهل إقليم فزان، مما يدل على طبيعتهم الهادئة والمتأنية في التعامل، وكذلك يمتازون بالتوجه الديني والواضح من ذلك طريقة الشيخ السنوسي يشير النص أيضاً إلى أن غالبية السكان يتبعون هذه الطريقة، مما يبرز تأثيرها الديني والاجتماعي ، ووجود الزاوية السنوسية يدل على انتشار الطريقة السنوسية في إقليم فزان وباقي المناطق المجاورة له ، حيث تعد الزاوية مركزا علميا لتعليم القرآن الكريم والعلوم والدراسات الإسلامية وعلوم اللغة العربية ، وكذلك الحث على الجانب التربوي للمتعلم؛ مما يعكس أهمية الدين في حياتهم اليومية،ويشير إلى وجود تأثير الطريقة السنوسية على الثقافة والسلوك في إقليم فزان، ويظهر التوازن بين الاستقرار الروحي والاختلافات الفردية.

(4) كاوار : لم يجد الباحث أي ترجمة لها ربما هي ليست ليبية أم الاسم قديم، أو اسم غير عربي .

وأضاف وصفاً آخر عن الحياة الاجتماعية عند ذكر قاضي مرزق: " والقاضي هو رجل من أبناء أكابر دار الخلافة شاب لطيف جميل المنظر يلبس الثياب الرقيعة ويتزين تارة بعمامة(5)(الفيروز أبادي، 1999، ج 4 ، 118) (ابن سيدة، (د.ت)، ج 1، 82) (ابن بكار، 1996، 89) خضراء لا يتجاوز الخمسة والثلاثين من عمره ، متحنك ومتفنن وله محبة عظيمة في اللغة العربية والعلوم العصرية، يميل كثيراً إلى الشعر العربي "وكم من ليالي أحييناها في السمر والتحميض(6)"(الحشائشي، 1995 ، 81) بمحله، وكان يصنع لي الطعام الفاخر اللذيذ، ويظهر عليه آثار الرفاهية من لباسه ورياشه " (الحشائشي، 1995 ، 82)، ويبدو للباحث من النص السابق أن المجتمع الفزاني له وصفًا مفصلاً لشخصية القاضي، مع التركيز على صفاته الجسدية والاجتماعية؛ فأول هذه الصفات الشخصية والمظهر شاب لطيف جميل المنظر؛ حيث يوحي بجاذبية القاضي ونجاحه في كسب القلوب، وهذا يساعد على أداء وظيفته كقاضي ومحافظ على الحياة الاجتماعية، وأيضاً يلبس الثياب الرقيعة، وهذا يعكس تواضعه رغم مكانته، مما يدل على أهمية القيم الأخلاقية على المظاهر، وسماته الشخصية (متحنك ومتفنن) يشير إلى ثقافته العالية، وقدرته على التعبير؛ مما يعزز من مكانته كقاضٍ، ويسهل عليه مهمته المكلف بها ، وأيضاً محبته العظيمة للغة العربية والعلوم العصرية تدل على اهتمامه بالمعرفة، وجمع بين التقليدي والحديث، وكذلك في التوجهات الأدبية يميل كثيراً إلى الشعر العربي، وهذا دليل على بروز انفتاحه على الثقافة الأدبية، مما يعكس ذوقه الرفيع وقدرته على الاستمتاع بالفنون، والعلاقاته الاجتماعية أحييناها في السمر والتحميض مما يشير إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية الدافئة والممتعة التي يقيمها القاضي مع الآخرين، وأما صفته بأنه يصنع الطعام الفاخر اللذيذ يعكس لنا كرم القاضي واهتمامه بالتفاعل الإنساني من خلال الطعام، وهناك ميزة أخرى متمثلة في الرفاهية آثارت الرفاهية من لباسه ورياشه وأيضا تشير إلى أنه يعيش في مستوى اجتماعي جيد، مما يوازن بين تواضعه ورفاهيته، وهذا ما ذكره الباحث يؤكد أن الحشائشي أخذ نموذج من الحياة الاجتماعية في إقليم فزان وهو طبقة القضاة، وهذا يدل على عمق الحياة الاجتماعية في هذا الإقليم، وكذلك يتضح للباحث أن الجانب الثقافي لأهالي فزان يقوي الحياة الاجتماعية بمنظور علمي.

ويحدثنا الحشائشي عن النساء في إقليم فزان فيقول:" فيهن خصال حميدة منها حبهن للغرباء، ولهن رأفة وحنانة عليهم، وجبر خاطر، وهن في غاية الحسن واللطافة، ولا يوجد فيهن الجمال ولهم ثغور كالجوهر النضير ... ومن أراد أن يتزوج بهاته المدينة فإن صداق المرأة الحسنة الشرعي لا يتجاوز المئتي فرنك في الغالب، وهن متغلبات على رجالهن" (الحشائشي، 1995،84). يكتشف الباحث من النص السابق أن الصفات الحميدة للنساء في إقليم فزان حب الغرباء؛ حيث يظهرن ترحيبًا وانفتاحًا على الزوار، وكذلك الرأفة والحنان، ويتميزن بالطيبة والتعاطف، ويسعين لدعم الآخرين ومواساتهم، ويتصفن بالود واللطف في التعامل، وكذلك يشير النص إلى أن الجمال ليس بارزًا، لكنهن يمتلكن ابتسامات جميلة تشبه

(5) العمامة : بالكسر : المِغْفَرُ ، والبيْضَةُ ، وما يُلَفُ على الرأس ، جمعها عمائم ، وقد اعتم وتعمم واستعم. ؛ ويضيف ابن سيدة: " والعمامة ما يُلاث على الرأس تكويرًا . والعمامة لباس عربي ؛ فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمُّ ؛ وكذلك كان الخلفاء الراشدون ، وخلفاء بني أمية ... ويقول ابن بكار رواية عن العمامة زمن عبد الملك بن مروان : " قال عبد الملك بن عُمير : فبينما نحن جلوس في المسجد الأعظم إذا أتانا آتٍ فقال : هذا الحجاج بن يوسف قد قدم أميرًا على العراق ، فاشرأبَّ الناسُ نحوه ، ثم أفرجوا إفراجة عن صحن المسجد ، فإذا نحن به يتبهنس [يتشبه بالأسد في ثقله وضخمه] في مشيته ، عليه عمامةٌ حمراء متـــلثِّمًا بها ".

(6)التحميض: الافاكيه والنوادر والطرائف والمداعبات الأدبية.

الجواهر، وأما المهر المعتاد للزواج لا يتجاوز مئتي فرنك، ما يدل على بساطة متطلبات الزواج، ويتأكد للباحث أن هذا يجعل مجتمع الفزاني يتميز بالطيبة والانفتاح، حيث تلعب المرأة دورًا قويًا، وتكون العلاقات مبنية على الاحترام والتفاهم، وهذا أهم المقومات الحياة الاجتماعية لإقليم فزان.

ويضيف أيضاً :" ومرزق ملآنة بالتوارق، وهم الذين يبيعون الحطب والفحم" (الحشائشي، 1995، 84)، والواضح للباحث من النص السابق النص أن مدينة مرزق" كمكان يزخر بالتوارق، وهم عصب الحياة الاجتماعية ، وهم الأفراد الذين يبيعون الحطب والفحم، وهذا يمثل الاقتصاد المحلي، وأيضا يرى الباحث أن النص يشير إلى مهنة تقليدية تتعلق ببيع الحطب والفحم، مما يعكس جوانب من الاقتصاد المحلي في المنطقة. هذا النوع من التجارة يعكس الاعتماد على الموارد الطبيعية، ويعبر عن نمط حياة الطوارق .

المحور الرابع يستعرض الحياة الاقتصادية بمنطقة فزان من خلال رحلة الحشائشي.

لقد فصل الحشائشي الوضع الاقتصادي لإقليم فزان عندما ذكر مرزق: " وهي قاعدة فزان الكبيرة التي بها المتصرف والعسكر، وتبعد على طرابلس بمسيرة ثلاثين يوماً تقريباً للقوافل، ولتعلم أن عمل فزان كان مستبداً ليس داخلا تحت طرابلس، وله حاكم خصوصي من قبيلة أولاد محمد، ومحل ملكه مدينة مرزق" (الحشائشي، 1995 ، 79)، ويرى الباحث من النص أن الحشائشي الذي يحمل عدة محاور أولها الموقع يشير إلى موقع مرزق كقاعدة كبيرة في فزان، مما يدل على أهميتها الإستراتيجية الاقتصادية، وأما المحور الثاني من هذا فقد استشف الباحث منه أن المسافة إلى طرابلس (ثلاثون يومًا للقوافل) تعكس العزلة النسبية لإقليم فزان، وتحديات النقل وطرق التجارة على التجار والتجارة ، وكذلك يعطينا محوراً أخر لابد ألا نغفله ألا وهو الهيكل الإداري؛ حيث يُبرز النص أن فزان كانت تتمتع بنظام إداري خاص، حيث كان لها حاكم مستقل من قبيلة أولاد محمد. هذا يشير إلى وجود سلطة محلية قوية وبهذه السلطة قوي الجانب الاقتصادي لإقليم فزان، وأما المحور الأهم فقط رأى الباحث أهمية كبرى لإقليم فزان حيث يوحي لمن يقرأ تاريخ فزان بأن الإقليم كان يدير شؤونه الاقتصادية بشكل مستقل، مما قد يعني وجود نظام اقتصادي خاص يختلف عن طرابلس.

وذكر الحياة الاقتصادية في مرزق قائلا: " ودخلها السنوي ما يقرب من ثلثماة ألف قرش هي وأعمالها تستخلص على النخيل وبعض الرقاب وبعض الأملاك بغير قوانين منظمة " (الحشائشي، 1995، 82) ، يستنبط الباحث من النص أن الحياة الاقتصادية في إقليم فزان أحد مواردها الرسوم التي يبلغ حوالي ثلاثمائة ألف قرش في السنة ، مما يشير إلى حجم اقتصادي محدد، وأيضاً يرى الباحث أن هذه الرسوم متنوعة أهمها النخيل؛ لأن أحد الموارد الطبيعية المستغلة ويوجد بهذا الإقليم بكثرة، وأيضاً يدفع الرسوم المفروضة على الأفراد، وأيضا على بعض الأملاك من حيث استغلال الأصول أو الممتلكات، ويرى الباحث أن الدخل يستخلص بطرق غير منظمة، مما قد يؤدي إلى عدم الكفاءة وفقدان الموارد.

وأورد أيضاً جانباً مهما من جوانب الحياة الاقتصادية ألا وهو التجارة فقال: " أما الأعيان والتجار فغالبهم من غير هذا البلد" (الحشائشي، 1995، 83)، ويتأكد للباحث من التجار معظمهم من خارج مرزق، وهذا دليل على أن إقليم فزان له علاقات تجارية في الخارج مما يستفاد منها في تقوية الحياة الاقتصادية .

ويضيف جانباً أخر من جوانب الحياة الاقتصادية ألا وهو الزراعة فيعطينا عليها نبذة مختصرة قائلا: " لم يوجد بهذا البلد شيء من الغلال والثمار والفواكه إلا بعض البقول كاللفت والقتاء والسلق والمعدنوس والطماطم والفلفل " (الحشائشي، 1995 ، 83) ، يبدو للباحث أن النص يتحدث عن قلة المحاصيل الزراعية في إقليم فزان، حيث يقتصر الإنتاج على بعض أنواع البقوليات والخضروات مثل: اللفت، والقتاء، والسلق، والمعدنوس، والطماطم، والفلفل، فربما قد

يكون المناخ غير ملائم لزراعة محاصيل متنوعة، وكذلك ربما تكون التربة غير خصبة أو تحتاج إلى تحسين، وكذلك احتمال آخر أن قلة المياه قد تؤثر على تنوع الزراعة.

ويحدثنا عن عنصر مهم من عناصر الاقتصاد في مدينة مرزق: " وبالبلد سوق عام به حوانيت(7)(نجم، 2005 ،196) التجار وكل شيء من أنواع السلع يباع فيه بالمزايدة، ويتفرق الباعة في السوق من ساعتان إلى الزوال؛ فلا ترى بعد أحداً به إلا حوانيت التجار تمكث مفتوحة إلى المغرب وبعده " (الحشائشي، 1995 ،85) ، ويرى الباحث مما سبق أن النص يصف سوقًا عامًا في مدينة مرزق ، ويشير إلى عدة عناصر رآها الباحث يمكن أن يسردها هنا البيئة التجارية تشير إلى وجود حوانيت للتجار، مما يدل على تنوع السلع المتاحة فيها . هذا يعكس حيوية الاقتصاد المحلي واحتياجات المجتمع في فزان، وكذلك هناك عنصر آخر ألا وهو آلية البيع وهي المزايدة يبرز جانبًا من المنافسة في السوق، حيث تتنافس الأسعا،ر ويشارك الناس في عملية الشراء بشكل نشط. هذه الممارسة قد تعكس ثقافة تجارية تعزز التفاعل بين البائع والمشتري، وأيضاً عنصر آخر هو الوقت والزمن تحديداً بساعتان إلى الزوال يشير إلى تنظيم الوقت في السوق، مما يعكس أهمية الوقت في الحياة التجارية. كما أن الإشارة إلى أن الحوانيت تبقى مفتوحة حتى المغرب تعكس نمط الحياة اليومية وتأثيره على العمل والتجارة، وهناك عنصر أساسي هو الاستمرارية والاعتماد على التجارة حيث بقاء الحوانيت مفتوحة بعد المغرب يدل على أهمية التجارة كمصدر رزق، ويعكس اعتماد المجتمع في مرزق على السوق في تأمين احتياجاته في هذا المجتمع، وخلاصة قول الباحث أن تكون هذه العناصر نقطة انطلاق لفهم أعمق لكيفية تفاعل التجارة مع جوانب الحياة اليومية، والاقتصاد، والثقافة في المجتمع، ويرى الباحث مما سبق أن الحياة الاقتصادية كانت داعما للحياة الاجتماعية في فزان.

الخاتمة

بعدما تتبع الباحث إقليم فزان من خلال رحلة الحشائشي تبين للباحث عدة نتائج أهمها :

*– التنوع الجغرافي: حيث وصف الحشائشي إقليم فزان بتطرقه إلى الواحات والجبال، والمقاطعات التي يتكون منها بداية من سرت الجهة الشرقية وينتهي إلى القطرون من جهة الغرب، وتأثيرها على حياة السكان.

*– نتج عن هذا البحث أن الحياة الاقتصادية في إقليم فزان تدور حول الأنشطة الاقتصادية الرئيسية، مثل الزراعة وتجارة القوافل، ودور مدينة مرزق كمركز تجاري.

*– نتج أيضاً معرفة العادات والتقاليد في إقليم فزان التي دارت حولها الحياة الاجتماعية، بما في ذلك الاحتفالات والمناسبات الثقافية والأعراس، وكذلك نتج عن هذا أطباع أهل فزان الناتجة عن تربيتهم الدينية على يد الطريقة السنوسية؛ حيث وصف الممارسات الدينية وأثرها في الحياة اليومية لسكان فزان.

*– ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث المشكلات؛ مثل الجفاف، ونقص الموارد المائية، وتأثيرها على الزراعة حيث لا يوجد بها من محاصيل إلا بعض الخضروات فقط مما أثر على حياة المجتمع.

*– وأيضاً من أهم النتائج أن إقليم فزان قوي باقتصاده بالاهتمام بالنخيل والتجارة والأسواق؛ إذ كانت نقطة التقاء تجاري مهمة، تربط بين شمال إفريقيا وبلدان الصحراء، مما أتاح تبادل السلع والأفكار التجارية.

*– نتج عن هذا البحث أن إقليم فزان يوجد به نظام التعليم الديني الناتج عن الزوايا السنوسية.

(7) الحانوت: دكان أو محل للتجارة.

*- أشار البحث إلى نتيجة أخرى ذات أهمية كبرى ناتجة عن الحياة السياسية في هذا الإقليم ألا وهي الضيافة في الثقافة المحلية، وكيفية استقبال الزوار وخاصة من قبل النساء.

وفي ختام الخاتمة يوصي الباحث بأن تُقام عدة دراسات معمقة لإقليم فزان حتى يستخلص دراسة وافية تعطي لهذا الإقليم حقه .

ثبت المصادر والمراجع

*- بازامه . محمد مصطفى(د. ت)، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، الناشر دار ومكتبة الفكر ، (د.ط) .

*- ابن بكار . الزبير(1996 م) ، الأخبار الموفقيات ، تح : سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 2.

*- الحشائشي. محمد بن عثمان (1995م)، رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تح: علي مصطفة المصراتي، دار لبنان، بيروت، ط1.

*- الحموي. ياقوت (د. ت)، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د. ط) .

*- الحميري . محمد بن عبد المنعم (1975م)، كتاب الرّوضُ المعْطار في خبرَ الأقطار (معجمَ جُغرَافي معَ مَسردَ عام)، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1.

*- الدّناصُوْري. جمال الدين (1967م)، جغرافية فزان ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي، ط1، 1967م.

*- الزاوي. الطاهر أحمد (1968م)، معجم البلدان الليبية، دار الاتحاد العربي للطباعة ، طرابلس الغرب، ط1.

*- السوري. المختار عثمان محمد العفيف(2006- 2007م)، الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، أطروحة دكتوراه ، إشراف إبراهيم مياسي، السنة الدراسية ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ .

*- ابن سيده. أبو الحسن علي بن إسماعيل(د. ت)، المخصص ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت، (د.ط).

*- ابن عريفة. الطاهر المهدي (2010م)، تاريخ فزان الثقافي والاجتماعي ، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس الغرب، ط1.

*- الفيروز آبادي. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (1999م)، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ط).

*- لامة. أحمد غيث (2005م)، مختصر تاريخ سرت منذ أقدم العصور إلى الحرب العالمية الثانية، منشورات اللجنة الشعبية للثقافة ، سرت، ط 1.

*- ليون. جون فرانسيس (1976م) ، من طرابلس إلى فزان 1818م ، تر: مصطفى جودة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا. تونس، ط1.

*- نجم. زين العابدين شمس الدين (2005م)، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، الزهراء كمبيوسنتر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط).